

ثقافة الحوار في الفضاء الجامعي.. آمال وتطلعات



د. صابر جيدوري

لا شك أن الشباب العربي الذي انتفض ضد أنظمتهم المستبدة قد حقق ثورة ناجحة في كل من مصر وتونس، وأنهم في طريقهم لتحقيقها في ليبيا واليمن وسوريا.. غير أن ما يحتاجون إليه الآن هو أن يسلكوا سلوكاً حضارياً إنسانياً مع الآخر المختلف، هذا إذا أرادوا لثوراتهم أن لا تفقد ألقها الروحي والأخلاقي في وحول الممارسات التعصبية، ومن هنا فإن ثقافة الحوار لا بد وأن تكون المنطلق والغاية نحو مواجهة مشاعر الكراهية التي جذرتها أنظمة الاستبداد بين أبناء الأمة، تلك المشاعر التي وصفها الكاتب الإيرلندي الساخر برنارد شو بأنها انتقام الجبان الذي أهينت كرامته، فالكراهية لمن أهانوا كرامة هذه الأمة وكرامة الإنسان العربي قد تقود إلى سلوكيات سلبية ليس أقلها التطرف والتعصب. وبالتالي فإن تلك المشاعر يجب أن تستبدل بثقافة الحوار والتسامح مع الآخر. الأمر الذي يفرض على الجامعات العربية عموماً التفكير في سياق آخر من التعليم، يهدف إلى المساهمة في بناء جسور الحوار والتعايش وبناء السلم الأهلي بين الأفراد والجماعات، وتعزيز ثقافة الحوار التي تمثل البيئة المثلى والعامل الأساس للاستقرار والتطور في أي مجتمع، ولعل ما تتصف به ثقافة الحوار من ثنائية الأبعاد يعطي للمؤسسات التعليمية الجامعية دوراً أساسياً في تنشئة مادتها البشرية على ثقافة الحوار، حيث يجتمع فيها البعدان الاجتماعي المتصل بالتكوين المجتمعي ومتطلبات التفاعل السلمي في إطاره، والبعد الفكري المتصل بالشرط الأول للقيام بهذا التفاعل، وهو تكوين عقلية الأفراد والجماعات عبر عملية التنشئة الاجتماعية والسياسية.

من جهة أخرى يُعد الاستعداد للحوار وعدم الخوف منه من أهم ضرورات نشر وترسيخ ثقافة الحوار، وإن الحقيقة يجب أن تكون متاحة للجميع بأشكال وصيغ متعددة ومتنوعة، مما يعني خطأ فكرة احتكار الحقيقة التي إن دلت على شيء فإنما تدل على ضيق الأفق والعجز عن التحوّل مع الذات والآخر، وتعبيراً عن ضعف حجة المحاور أو الخلل في سلوكه الشخصي. وإذا كان الأمر كذلك فإنه من الطبيعي القول بضرورة تحمل المؤسسة الجامعية لمسؤولية تأسيس وترسيخ ونشر ثقافة الحوار بين طلبتها، عبر تحويل فكرة احترام الرأي الآخر والتحوّل معه سلمياً إلى برنامج عمل سلوكي ومعرفي، وبأسلوب يدفع الشباب إلى

اعتماد المعلومة الموثقة وتبادل الخبرات مع الأساتذة والزملاء بغية إشاعة روح الحوار في الوسط الجامعي ابتداءً، ومن ثم في الوسط الاجتماعي الأوسع لاحقاً، مع ملاحظة أن الشريحة الطلابية عامة والجامعية خاصة يجب أن تضطلع بدور كبير وأساسي في عملية نشر وترسيخ ثقافة الحوار في المجتمع، نظراً لما يُفترض أن تتمتع به هذه الشريحة من مستويات معرفية أكاديمية متخصصة وثقافية عامة من جهة، وانتشارها وتغلغلها في كل الأوساط الاجتماعية من جهة أخرى. لذلك يبدو من الضروري تكثيف الجهود وتنظيمها في الوسط الجامعي لتنشئة الطلبة على ثقافة الحوار السلمي المتحضر، لكي تنتقل هذه الثقافة عبرهم إلى المجتمع وخاصة "إننا نعيش في حالة ذهول كبيرة أمام الأحداث العظيمة للثورات العربية المتلاحقة من تونس إلى مصر ومن اليمن إلى ليبيا وسوريا، والتي جاءت لتتجاوز عمق النظريات الفكرية الحدائية وما بعدها، ورفضاً لكل أشكال الاستبداد والإكراه والقمع الذي تُمارسه الديكتاتوريات العربية المعاصرة" (وظفة، 2011: 86) الأمر الذي يفرض على المؤسسة الجامعية تعزيز ثقافة الحوار في القضايا المجتمعية المختلفة تجنباً لثقافة العنف التي تنتجها أنظمة القمع العربية عبر سياساتها المختلفة.

من جهة أخرى لكي نخلق إنسان الحوار ومجتمع الحوار وثقافة الحوار وعقلية الحوار، فلا بد من توفر مناخ تسود فيه حرية التعبير وحرية التفكير، هذا المناخ الغائب في المجتمعات العربية هو السبب الرئيس في قيام الثورات الشبابية العارمة التي اجتاحت هذه المجتمعات، وعصفت ببعض أنظمتها الاستبدادية، مما دفع الكثير من المؤسسات التربوية إلى الدعوة إلى تأسيس ثقافة حوارية بين أبناء المجتمع، من أجل بلورة مجتمع حوارى يعيش فيه الأفراد متساوون في الحقوق والواجبات. ومن هنا برزت الكثير من دواعي تعزيز ثقافة الحوار في الفضاء الجامعي نذكر منها:

1- الدواعي المعرفية

ليس من المبالغة القول إن معرفة الآخر واحترام أفكاره، حتى ولو جاءت مخالفة لما نعتقد أنه الحقيقة، قد أصبحت من مستلزمات المثاقفة الكونية في ظل ما تموج به الساحة العربية والعالمية من تغيرات عصفت بكل ما كان مستقراً في الذهنية العربية والعالمية على حد سواء، وهذا يعني أن الاعتراف بقيمة الآخر وقدرته والحوار معه يصبح جزءاً من أخلاقيات التفاهم الدولي وبناء أسس التعايش السلمي، مع التأكيد أن قبول الرأي الآخر لا يتطلب فقط معرفة الآخر، بل إن الأمر يقتضي توفر معرفة متناظرة، أي معرفة الذات والآخر بشكل تبادلي، وحتى نعرف الآخر ونقبله لا بد أولاً من تأصيل الفكرة التي تؤكد حق الإنسان في الفكر الذي يجده مشروعاً أو جديراً بالاعتناق والدفاع عنه، وذلك انطلاقاً من حرية الفكر والعقيدة التي

أقرها الإسلام كما أقرتها العهود والمواثيق والإعلانات الدولية. قال تعالى: لَأَكْرَاهُ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ (البقرة : 256) مما يتطلب من المحاور أن يتسم بالمرونة والإقرار بالاختلاف باعتباره سنة كونية، كما عليه عدم الانسياق وراء الأهواء أو رفض الرأي المخالف أو التعصب ضده، وهذا يؤكد أهمية أن يكون الحوار متكافئاً مهما اختلفت أطرافه ومعطياته انطلاقاً من قوله تعالى: وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ (الروم : 22).

ومما يستحق الالتفات إليه هو أن البناء المعرفي المطلوب لتعزيز ثقافة الحوار في البيئة الجامعية العربية عموماً، يعاني من نقص شديد في المعارف التي تتصل بثقافة الحوار وما تحمله هذه الثقافة من مضامين حضارية وإنسانية، فالمنتبع لحال الطلبة في الجامعات العربية يكتشف أنهم لا يملكون معرفة كافية بمقومات الحوار ومهاراته وآلياته وآدابه، فضلاً عن عدم إدراكهم للمخاطر الناتجة عن غياب الحوار مع الآخر وأهمية التسامح معه. ومن هنا فإن مسؤولية كبيرة تقع على عاتق المؤسسة الجامعية تتمثل بضرورة تزويد الطلبة بالمعارف اللازمة التي تساعد على نشر ثقافة الحوار في فضاءاتها، ومن ثم تكثيف البرامج والندوات واللقاءات الحوارية من أجل التأسيس لمجتمع جامعي تفاعلي باستخدام مرصد لمراقبة الحوار داخل الجامعة يهدف إلى تطبيق التربية الحوارية، وتوكل إليه مهمة متابعة واقع الأجواء والممارسات الحوارية داخل أسوار المؤسسة الجامعية، والتعريف بها من أجل بناء مركز معلومات حوارية أو تأسيس بنك للممارسات الحوارية، بحيث تُوضع تلك الخدمة تحت تصرف جميع أطراف العملية التربوية والتعليمية التي تعمل داخل الجامعة، وبالتالي فإن المعرفة بموضوع الحوار ومادته ومسائله، والقدرة على النظر والموازنة والاستنباط والاستدلال والترجيح بين الأدلة المختلفة تُعد شرطاً لازماً للوصول إلى الحق، فضلاً عن أنها شرطاً ضرورياً للتفكير السليم، ولهذا أنكر الله على أهل الكتاب محاجتهم من دون علم. قال تعالى: هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (آل عمران : 66) استناداً إلى الشواهد السابقة يُمكن الإشارة إلى مجموعة من الدواعي المعرفية التي تتطلب من الجامعة العمل على تعليمها للطلبة كمدخل إلى تعزيز ثقافة الحوار في البيئة الجامعية منها: أ - تعريف الطلبة بالمخاطر الناتجة عن غياب الحوار ب - تعريف الطلبة بأهمية الحوار مع الآخر والتسامح معه ج - تعريف الطلبة بمهارات الحوار وآلياته وآدابه د — تعريف الطلبة بالمضامين الإنسانية والحضارية للحوار.

2- الدواعي الوطنية

تقتضي الضرورة منذ البداية التأكيد على أن أولوية الوحدة الوطنية لأي مجتمع هي في مقدمة الأولويات التي يسعى إلى تحقيقها على الصعيد الوطني عبر مؤسساته التربوية والاجتماعية المختلفة، لأن الإنسان بحاجة ماسة إلى الانتماء الذي يحول الفرد من شخص يعيش لنفسه إلى شخص يعيش في جماعة، يشاركها حياتها ويتحمل تبعاتها كي يصبح عضواً مسؤولاً في المجتمع الذي ينتمي إليه، ولأن الأمر كذلك يصبح من واجب الجامعة العمل على تعزيز ثقافة الحوار في بيئتها، لأن عدم الاعتراف بالحوار وغلق جميع قنوات التعبير عن الرأي يكون حافزاً لانتيمية ثقافة العنف لدى شريحة واسعة من طلبة الجامعة، مما يؤدي إلى التشكيك في منطلقاتهم الفكرية وضعف ولائهم وانتمائهم لوطنهم، ومن هنا تتأكد ضرورة تقوية وتمتين الوحدة الوطنية باعتبارها ممارسة متواصلة، ومشروع مفتوح على كل المبادرات التي تزيد من مستوى وعي المواطن بأهمية هذه الوحدة، وهذا بطبيعة الحال لا يتأتى إلا بمزيد من العمل على تكريس الوحدة الوطنية ومتطلباتها في الواقع الاجتماعي، ولاشك أن الحوار هو من المداخل الأساسية في هذا المجال، إذ من خلاله نستطيع أن نفهم بعضنا، وبه نتكسر قيم التواصل والتفاعل والتفاهم، وعبر تقاليد وآداب ونتائج نتخطى واقع الانقسام وحالات الجفاء والتباعد، ومن ثم فإن الحوار الوطني المستديم هو الذي يمد واقع الوحدة الوطنية بالمزيد من الحيوية والفاعلية، وكل ذلك يتطلب من المؤسسة الجامعية إقامة الأنشطة واللقاءات الحوارية التي يمكن من خلالها تشكيل اتجاهات ايجابية لدى الطلبة نحو حب الوطن والمحافظة على أمنه ووحدته، وتبصيرهم بالدور المهم الذي يجب أن يقوموا به تجاه ما يحقق الوحدة الوطنية.

ولعله من المفيد هنا الإشارة إلى " أن المواطنة الإيجابية إنما تُشتق من قيم إنسانية عليا تتيح لها مجال النمو والاقتراد، وتلك القيم هي قيم الحرية والعدل الاجتماعي والمشاركة الفعالة والمجزية تحقيقاً لكرامة الإنسان، مما يتطلب فتح أبواب التعبير الحر على مصاريعها من أجل الحوار البناء، وليس لمجرد الاختلاف وتسجيل المواقف، بحيث يتوجه الحوار في تمحيصه لقضايا الحياة والمصير إلى نقط الالتقاء ومواطن العمل المشترك، وأن تكون نهاية التفكير هي بداية العمل التعاوني، وتلك من أهم مسؤوليات الجامعات العربية في سياق اضطراب القيم في مجتمعاتنا العربية والإسلامية " (عمار، 1996: 17). ومن أمثلة تلك الاضطرابات القيمية النظر إلى الوحدة الوطنية من مدخل الولاء المشترك للمبادئ السياسية أو الولاء للقائد الملهم أو الحزب الأوحد، في الوقت الذي يجب أن تكون لدى أبناء الوطن " مشاعر العضوية " وأن تكون هذه المشاعر عامة ومشاركة بين الجميع، الأمر الذي يقتضي ضرورة تعزيز قيمة الانتماء للوطن عبر مدخل تعزيز ثقافة الحوار بين أبناء المجتمع للوصول إلى الإيمان بفكرة العيش معاً، تلك الفكرة التي لا يمكن الوصول إليها بمنطق الاستبداد والإكراه والقمع الذي تُمارسه الديكتاتوريات العربية المعاصرة الآن عبر دباباتها وبلطجيتها وشبيحتها التي عاثت

فساداً في البلاد والعباد. " فالوحدة الوطنية تُحتم على كل مواطن أن ينظر إلى الآخر باعتباره واحداً منا حتى نتمكن جميعاً من بلورة صيغة جديدة للهوية الوطنية المشتركة، والتي بمقتضاها يشعر المواطنون على اختلاف ثقافتهم وأجناسهم وأديانهم ومذاهبهم أنهم أعضاء في وطن واحد، وأنهم ينتمون جميعاً إلى هذا الوطن، وأن تنوعهم يمثل سنة من سنن الله في خلقه، فضلاً عن كونه مصدراً للتميز والغنى الثقافي والحضاري " (عبد الستار، 2004: 30).

ونظراً لما لتلك العوامل من وزن في الاعتبار التعليمية والاجتماعية، فإن جامعاتنا مدعوة من أجل ترسيخ قيم المواطنة الإيجابية إلى تعزيز ثقافة الحوار في البيئة الجامعية والاجتماعية، لكي ندفع بالحياة على أرض الوطن من العجز إلى القدرة، ومن التقوقع إلى المشاركة، ومن مجرد الإلتباع والانصياع إلى آفاق التجديد والإبداع. وفي ضوء ذلك يُمكن الإشارة إلى مجموعة من الدواعي الوطنية التي تتطلب من الجامعة أخذها بعين الاعتبار كمدخل إلى تعزيز ثقافة الحوار في البيئة الجامعية منها: أ- نشر ثقافة الحوار بين الطلبة لمواجهة العنف والإرهاب الذي يستهدف الوحدة الوطنية ب- تمكين الطلبة من التعايش داخل وطنهم وفق شروط المواطنة الصحيحة ج- تنويع الأنشطة الحوارية لتكريس الوحدة الوطنية د- تمكين الطلبة من الحوار في القضايا الوطنية المختلفة.

3- الدواعي الاجتماعية

لقد تعرضت المجتمعات العربية خلال العقدين الماضيين إلى ضعف في مناعة الجسم الاجتماعي، وفي بنيته التي يشد أعضاؤها بعضه بعضاً، مما أوهن مقومات تماسكها الاجتماعي وأدى إلى بروز تخلخل اجتماعي وتناقض في المصالح اتخذ مبررات طائفية أو عرقية أو مذهبية أو لغوية حضارية أو توجهات سياسية حزبية. وقد أدى ذلك التشرذم أحياناً إلى كثير من التوتر والإحباط، ثم فقدان الثقة بالنفس، وفي القدرة على صناعة القرار والعمل الجماعي على المستوى المجتمعي، وقد نجم عن ذلك في بعض الحالات زعزعة مقومات الأمن الوطني، واحتدام الصراعات المحلية والعربية، بل والحروب الأهلية في بعض الأقطار، وما يخلفه ذلك من تدمير الثروة وال عمران. (عمار، 1998: 74 - 75)

وفي معترك هذا المشهد الاجتماعي يكمن التحدي لنظام التعليم الجامعي والأجهزة الثقافية في تكوين عقلية بصيرة تتجاوز الجمود والتعصب، وأحادية الرؤية مع تعقد الحياة وحركتها المتواصلة.. فالتحرر من داء التعصب والتفرقة والنزعات العنصرية في المجتمعات العربية أمر مرهون بإذكاء عملية تربوية تتصف بطابع الشمول والأصالة والعمق، تكون قادرة على توظيف مختلف الطاقات التربوية والاجتماعية في تعزيز بناء قيمي وروحي قوامه الحوار مع

الآخر والتسامح معه، ومهمة الجامعة هنا هي التركيز على مفهوم الحوار ومهاراته وآلياته، ومحاربة مفاهيم وقيم العرقية والعدوانية، ومن المهم في هذا الصدد أن يتم تضمين المناهج الجامعية موضوعات حول الحوار وأهميته في الحياة الاجتماعية المعاصرة والمستقبلية للإنسان العربي، ومن ثم يمكن للتعليم الجامعي أن يمارس دوراً كبيراً في تصحيح الخلل الذي يعانيه نسق القيم الراهن، ولاسيما القيم الاجتماعية، ويستطيع أن يعمل على إرساء قيم تنموية واتجاهات مجتمعية تساعد على مواجهة التحدي الذي أفرزه تصدع قيم العمل والإنتاج وتراجع قيم الحوار والتسامح وحقوق الإنسان. (وظفة والراشد ، 1998: 214-215)

مع التأكيد هنا أن للحوار أهمية كبيرة في عملية الحراك الاجتماعي والسياسي والثقافي والتنموي في أي مجتمع، كما أن للحوار الأهمية نفسها في تحصين المجتمع من الانحرافات والانزلاقات والتفاعلات الصراعية، فالمجتمع الذي يغلق باب الحوار والمشاركة الفاعلة بين أفرادها لا بد وأن يكون مصيره الوقوع في الاستبداد والانحراف والصراع، بخلاف المجتمع الذي يؤسس للحوار ويتسم بالتسامح مع الآخر وحقه في الاختلاف، كما أن التفاعل الاجتماعي مع الآخرين والحوار معهم يحمل في مضامينه فوائد كثيرة تتمثل في تحقيق التعايش بين الناس، ويحقق أنواعاً كثيرة من التكيف الاجتماعي.

يبقى أن نشير في نهاية هذا المحور إلى ما أشار إليه الدكتور حامد عمار من أن الحضارة العربية الإسلامية في معظم حقبها التاريخية، بدءاً من انتشار الإسلام وحتى نهاية السلطة العثمانية، لا تعرف التمييز على أساس الدين أو العرق رغم ما انظم تحت لوائها من متعدد الأجناس والديانات، وكانت ثقافة الحوار والتسامح والتعايش أوضح ما يميزها حتى عن ثقافة الغرب قبل الثورة الفرنسية، ولم تعرف محاكم التفتيش ولا التمييز العنصري على أساس اللون، بل ولم يوجد في مصطلحات لغتها مفهوم "الأقلية" وقد اعترف بذلك كثير من المنصفين في الغرب، ومن أشهرهم المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي (عمار، 1995: 188). فتلك هي حضارتنا التي تأسست وتأسلت في نفوسنا انطلاقاً من قوله تعالى: *وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِنَّا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ* (العنكبوت : 46) ولعل أهم ما تحمله هذه الآية الكريمة في مضامينها، أنها تتضمن دعوة صريحة إلى حرية الفكر وإلى الحوار العقلي الهادف، من دون اللجوء إلى العنف أو إلغاء حق الآخر في التعبير، فإذا ما تمثلنا ذلك في سلوكنا داخل فضاء الجامعة وفضاءات المجتمع الأخرى فسوف يؤدي ذلك إلى بناء مجتمع قوي ومتماسك.

في ضوء ما سبق يُمكن الإشارة إلى مجموعة من الدواعي الاجتماعية التي تتطلب من الجامعة أخذها بعين الاعتبار كمدخل إلى تعزيز ثقافة الحوار في البيئة الجامعية منها: أ - نشر ثقافة الحوار بين الطلبة لدفعهم إلى المشاركة في عملية الحراك الاجتماعي ب - تعزيز

ثقافة الحوار كمدخل للتفاعل الاجتماعي بين الطلبة ج - تعزيز ثقافة الحوار كمدخل لتماسك المجتمع واستقراره د - تعزيز ثقافة الحوار لتنمية منظومة القيم الاجتماعية لدى الطلبة.

4- دواعي التربية الدولية

من المعروف أن المتغيرات التي حصلت على صعيد الاتصال والتواصل وزوال الحدود والحوازج، كان لها أكبر الأثر في بلورة قيمة الحوار وتناقل المعلومات والمعارف والقيم، حيث ظهرت آليات واستراتيجيات جديدة تسمح بانفتاح الثقافات والحضارات على بعضها بعد أن أصبح قبول الآخر والحوار معه مطلباً مجتمعياً وكونياً، ومدخلاً مهماً لمستلزمات المثاقفة الكونية، وهذا ما أكده "جاك ديلور" بقوله: " إن أهداف العملية التعليمية لم تعد قاصرة على تعلم المعرفة وتعلم التطبيق وتعلم الوجود، بل أصبحت تشمل بعداً رابعاً هو كيف نعيش مع الآخرين ونحاورهم " (Unesco,1990:7). كما أشار تقرير الأمم المتحدة عن التعليم للقرن الحادي والعشرين إلى أهمية التعايش مع الآخر والعمل معه بسبب تزايد الصراعات والعنف وتقدم أساليب التدمير، وحث على توجيه التعليم نحو تنمية قيم الآخرين وتاريخهم وعاداتهم وتقاليدهم وقيمهم الروحية من خلال مسارين متتاميين: أولهما الاكتشاف التدريجي للآخرين، وثانيهما العمل في اتجاه أهداف مشتركة مدى الحياة لتجنب الصراعات الكامنة أو حلها، حيث يتطلب اكتشاف الآخرين أن يكون من بين مهام التعليم أن يعرف الطلبة ذلك التنوع المبدع للجنس البشري، وأن ينمي لديهم الوعي بنواحي التشابه والاعتماد المتبادل بين كل البشر، ولا شك أن تشجيع لغة الحوار والفهم المتبادل والتعاطف الوجداني توجهات مهمة للتعليم في القرن الواحد والعشرين. أما العمل معاً في اتجاه أهداف مشتركة وفي سياق أنشطة ومشروعات باعثة على الإثابة، فإنه يميل إلى إضعاف الفروق أو الاختلافات أو الصراعات بين الأفراد، بل وقد تخنفي معها التوترات وتذوب الخلافات، وتنشأ هوية جديدة في نسق العمل المشترك الموجه إلى النجاح والإنجاز (منصور، 2006: 366-367).

وهذا يعني أن الحديث اليوم عن ثقافة الحوار وعن الحوار بين الأديان والتقارب بين الثقافات لم يعد ترفاً فكرياً، بل هو رهان جديد للألفية الثالثة، لذلك اعتبر فيديريكو مايور " أن عالم الغد ينبغي أن يكون مختلفاً بعمق عن العالم الذي نعرفه اليوم، حيث يرتبط الوعي بصدقية وحتمية هذا الرهان بتجاوز النزعات الدوغمائية المغلقة والانفتاح على فضاء أرحب غنى بتنوعه " (Unesco,2003:9). ومن هنا يمكن تقرير أنه لا يستطيع أي كان أن يدعي أنه يمتلك وحده اليقين المطلق، لأن كل الثقافات والحضارات الموجودة على

الأرض تمتلك جزءاً من الحقيقة وتحيط بمجال محدد، كما لا يمكن لطرف واحد أن يتحكم في كل الحقائق أو يدعي أن ما يتحكم فيه هو اليقين المطلق، وهذا يعني أن الاعتراف بقيمة الآخر وقدرته والحوار معه يصبح جزءاً من أخلاقيات التفاهم الدولي وبناء أسس التعايش السلمي، مع التأكيد أن قبول الرأي الآخر لا يتطلب فقط معرفة الآخر، بل إن الأمر يقتضي توفر معرفة متناظرة، أي معرفة الذات والآخر بشكل تبادلي.

وعليه فإن المؤسسة الجامعية معنية بتعزيز ثقافة الحوار من أجل مقاومة تأثير العوامل المؤدية إلى الخوف من الآخر، ومساعدة الطلبة على ممارسة التفكير النقدي، مما يتطلب إسهام السياسات والبرامج والمناهج التربوية الجامعية في تعزيز قيم التفاهم والتضامن والتسامح والتعايش بين الأفراد في المجتمعات المختلفة، من أجل أن يسود السلام العالمي المبني على العدل والإنصاف. ولعل ما تموج به الساحات العربية من ثورات شبابية تطالب بالتغيير وإسقاط الأنظمة الاستبدادية، وما عكسته هذه الثورات على الفكر السياسي العالمي المعاصر، تفرض أكثر من أي وقت مضى على المؤسسة الجامعية أن تعيد النظر في سياساتها التقليدية، وتتوجه إلى توطين وتفعيل قيم المواطنة والانتماء والحوار، واحترام الرأي الآخر والتعاون والتعايش معه، انسجاماً مع ما يطرحه الدين الإسلامي من جهة، وما تسعى إليه التربية الدولية من جهة ثانية. في ضوء ما سبق يُمكن الإشارة إلى مجموعة من دواعي التربية الدولية التي تتطلب من الجامعة أخذها بعين الاعتبار كمدخل إلى تعزيز ثقافة الحوار في البيئة الجامعية منها: أ- ترسيخ فكرة أن الحوار مع الآخر تتطلب احترام التنوع الثقافي والديني والعرقي ب- نشر ثقافة الحوار بين الطلبة لإرساء قواعد التعايش مع الآخر المختلف ج - توجيه الطلبة إلى اعتبار الحوار معياراً أساسياً للتعامل مع الآخر د- حث الطلبة للتفتح على المجتمعات الأخرى والتحاور معها.

تأسيساً على كل ما سبق يمكن القول إن نجاح الجامعات العربية في تعزيز ثقافة الحوار، ونشر مبادئ حقوق الإنسان وقيم المواطنة وزرعها لدى الناشئة، كفيل بخلق جيل جديد من المواطنين يغلب عليهم التوازن المجتمعي واحترام الآخر والمحافظة على أملاك المجموعة والتعامل بإيجابية مع كل واجبات المواطنة ومبادئ حقوق الإنسان وحياته الأساسية .

د. صابر جيدوري

كلية التربية - جامعة دمشق

المراجع

- عبد الستار، هاني (2004). التربية والمواطنة " دراسة تحليلية "، مجلة مستقبل التربية العربية، المجلد العاشر، العدد /35/ المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية .
- عمار، حامد (1998). نحو تجديد تربوي ثقافي ، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة .
- عمار، حامد (1996). الجامعة بين الرسالة والمؤسسة، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة.
- عمار، حامد (1995). من همومنا التربوية والثقافية، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة.
- منصور، طلعت (2006). مجتمع المعرفة وثقافة التنمية: ضمن أبحاث مؤتمر التربية في مجتمع المعرفة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.
- وطفة، علي (2011). طبائع الاستبداد عند الكواكبي في ضوء الثورات العربية المعاصرة، مجلة آراء حول الخليج ، العدد / 81 / ، مركز الخليج للأبحاث، الكويت.
- وطفة، علي، وصالح الراشد (1998). التربية وحقوق الإنسان في الوطن العربي، جامعة الكويت، دار السياسة، الكويت.
- Unesco(1990) Learning to Live in security. By Peter Menze ,Paris,22,April.
- Unesco(2003) The Art Living in Peace : to Wards on new Peace Consciousness .by Pierre Weil. Paris,4,July.